الأدب والفن في أسبوع

الأدب فى الإذاعة :

نشرت مجلة الهلال مناقشة عنوانها «هل أدت محطة الإذاعة رسالتها ؟» دارت فى ناديها بين « محمد توفيق دياب بك ومحمد فتحى بك والأستاذة مفيدة عبد الرحمن والدكتور نور الدين طراف » وقد بدأ فتحى بك الحديث بأن الإذاعة تؤدى غرضين، غرض التثقيف وغرض التسلية والترفيه عن المستمعين ، ثم اقتصر الحديث بعد هذا على الناحية الثقافية بمعناها الأعم الشامل للأدب والسياسة والصحة والنسائيات وغيرها . وأكتفى هنا بالكلام على الناحية الأدبية فى هذه المناقشة ، فأورد أهم ما قيل فيها وأناقش ما يستدعى النقاش

قالت الأستاذة مفيدة : الواقع أننا لا نقدر مدى استماع الجمهور وفهمه لما يسمع، فليست إذاعة أقوال هؤلاء الأدباء معناها الثقافة » ثم قالت : « قد جرت عادة الله تعالى فى بث الموعظة أن يسوقها فى قالب قصصى محبب إلى نفوس العامة قبل الخاصة. والقرآن الكريم وما سبقه من الكتب المنزلة ملأى بأمثال ذلك، فقد ورد فيها من قصص المتقدمين ما فيه عبرة وعظة ، مع أن هذه الكتب لم تنزل لسرد القصص والحكايات بل نزلت لإرشاد الناس لما فيه خيرهم ونفعهم ، فحبذا لو اهتدى أدباؤنا الأفاضل بهدى القرآن فى وضع الموعظة فى مثل هذا القالب » ومما قاله توفيق دياب بك : «فأنا أخالف الأستاذة مفيدة نوعاً ما فيما ذهبت إليه ، لأننى عرفت من تجاربى ومما سمعته من كثيرين من طبقات مختلفة كالمترددين على المقاهى والأندية العامة أن كثيراً من الجمهور ينتظرون أحاديث الأدباء ، وقد يعلو المتحدث بلغته بحيث ترتفع عن مستوى عامة الجمهور ، ولكنهم يتابعون موضوعه ويفهمونه ، وذلك لكثرة سماعهم القرآن وخطب المساجد وكلام الفصحاء ، فارتفع مستوى فهم الجماهير حتى سبقت أفهامهم معرفتهم بالقراءة والكتابة ... »

وكان فتحى بك قد قال موضحاً مسألة نجاح الإذاعة فى تحقيق الغرض الثقافى . « لا شك فى أنها خدمت الثقافة خدمة كبيرة، ومثال ذلك أن كثيراً من الأدباء الكبار كطه حسين بك وتوفيق دياب بك والأستاذ العقاد وغيرهم كانوا معروفين فى العالم العربى لدى طائفة خاصة من القراء . ولكن الإذاعة زادت أسماءهم لماناً وزادت الجمهور تعريفاً بهم ! » وهذا كلام يقف أمامه صف طويل من علامات التعجب والاستفهام ، فهل خدمة الإذاعة للثقافة هى التعريف بطه حسين والعقاد وتوفيق دياب ؟ وهل زادت التعريف بهم حقاً ! يا أخى ... قل غيرهم !

وقد رد توفيق دياب بك على ذلك بقوله : « هل أعتبر هذا الكلام منـا على الأدباء؟» وتساءل الدكتور طراف : «هل تذيع المحطة لهؤلاء الأدباء بقصد إشهارهم أو لأنهم أصلا مشهورون ..؟»

ومما قاله فتحى بك : « أنا أقصد الثقافة بمعناها الأعم ، ولكنى ضربت مثلا بالناحية الأدبية فقد أصبح الجمهور يتذوق كثيراً من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه »

فما هى ضروب الأدب التى أحدثتها محطة الإذاعة ولم تكن معروفة لدى الجمهور ؟ إن ما تذيعه من ألوان الأدب هو الأحاديث الأدبية القليلة، وبعض القصص القصيرة، وقراءة بعض الشعراء شيئاً من أشعارهم ، وقراءة بعض المذيعين فصولا من الكتب ، وإلقاؤهم بعض قصائد شوقى وحافظ فى المناسبات ؛ فأى هذا لم يكن معروفاً فى جوهره لدى الجمهور ؟ لقد كان يمكن أن تحدث الإذاعة ضرباً جديداً من الأدب لو أنها أذاعت تمثيليات قصيرة باللغة العربية بدل التمثيليات العامية التى تذيعها أو إلى جانبها ، فكانت تحدث فى الأدب « فن التمثيلية الإذاعية » ولكنها تخلفت فسبقتها فى هذا الفن بعض محطات البلاد العربية الأخرى التى لا تستطيع المحطة المصرية أن تقف إلى جانبها فى المفاخرة بما قدمته للجمهور من ضروب الأدب التى لم تكن معروفة لديه

الأدب والمجتمع :

كثيراً ما أشعر بعد الكتابة فى موضوع، أننى لم أوفه حقه وأنى قصرت فى بيان أمر ، وأنه فاتنى أن أذكر شيئاً .

من ذلك ما كتبته غير مرة للتنبيه على ضرورة اتجاه الأدب إلى المجتمع لتعرف أدوائه وتصوير أحواله ، وعلى ما ينبغى من تأثر

الأدباء والشعراء وانفعالهم وغضبهم على الأمور الواقعة والأحوال الراهنة ، وتعبيرهم عن ذلك كله بطرقهم الفنية .

خلت بعد ذلك كأن أصداء تقول لى : أتريد أن يكون الأدباء وعاظاً يجاهرون بالأمر والنهى ، ويسوقون النصائح المجردة والمواعظ السافرة ؟ أو تريد أن يتحول الأدباء جميعاً إلى باحثين اجتماعيين يدرسون الظواهر ويضعون النظريات ؟

كان ذلك قائماً بنفسى وأنا أقرأ فى مجلة « الإصلاح الاجتماعى » فصلا عنوانه « تجنيد الأدب فى ميدان الإصلاح » دعا كاتبه الأدباء إلى أن يتركوا الأبراج العاجية ويجندوا أنفسهم فى الحرب الاجتماعية المعلنة على الفقر والمرض والجهل ، وبين كيف يعمل الأديب فى هذا الميدان بأنه « لا يكشف النقاب عن مهمته وغرضه ، ولا يجهر بنصح أو إرشاد ، ولكنه بأسلوبه الفنى يعرض عليك من صور الحياة وحقائق المجتمع وحالات الناس مما تتأثر به نفسك فى غير تصريح أو مجاهرة ، فإذا أنت منفعل بما صوره لك وعرضه عليك ، وإذا أنت قد أسلمت عنانك لهذه الصور الفنية وأوليتها عواطفك من حب أو كره ، ومن رضا أو اشمئزاز » قرأت هذا فوجدته مطابقاً لما أريد من بيان . ويقول كاتب المقال بعد ذلك : « وربما قيل إن الحرية والانطلاق روح الأدب ، فليس لنا أن نقسر الأديب على شىء بعينه ولا أن نوجهه إلى ميدان خاص ، وإلا خرجت آثاره الفنية ضرباً من التكلف والتعمل لا قيمة له ونحن لا نريد أن نكره الأدباء على الانقياد لخدمة مبدأ من المبادىء خدمة متكلفة ليست منبثقة من صميم النفوس والوجدانات وإنما ندعو الأدباء إلى أن يوجهوا أنظارهم وجهة المجتمع المصرى وأن يتدبروا أحواله الاجتماعية ويفكروا فيها ويشغلوا أنفسهم بها ، فإن فعلوا ذلك فإنهم لا محالة يتأثرون ومن ثم يواتيهم الوحى الفنى عن تأثر وانفعال ، فتخرج آثارهم الفنية الاجتماعية طبيعية لا تكلف فيها ولا تزوير »

على أنى أتسمع أصداء أخرى تشير إلى مسألة ثار فيها الجدل واعتركت حولها الأقلام ، وهى : هل الأدب للأدب أو الأدب للحياة ؟ وأضع بإزاء ذلك ما أراه من أن الأدب الخلق فوق الحياة إنما هو كمال فكرى ، أما مطلب الحياة من الأدب فهو من الضرورات . ولا شك أننا الآن — من حيث الجهاد الخارجى والإصلاح الداخلى — أحوج إلى أن يكون أدبنا لحياتنا أكثر ما يكون ، وله أن يقضى بعض الوقت فيما يطيب له من ذرى الفن ومواطن الفكر .

السجل الثقافى :

ورد إلىّ الكتاب الآتى من الأستاذ محمد سعيد العريان مدير إدارة التسجيل الثقافى بوزارة المعارف . وفيه البيان الكافى لما توقفنا عنده من أمر السجل الثقافى فى العدد الماضى :

عزيزى الأستاذ العباس

قرأت ما كتبته من قريب فى الرسالة تنويهاً بالسجل الثقافى الذى اعتزمت وزارة المعارف أن تصدره فى كل عام لتسجل به مظاهر النشاط الثقافى فى مصر ؛ فشكرت لك هذا .

ثم قرأت ما اقتبست لقرائك من رسالة للأديب « البسام » يعترض فيها على هذا السجل من ناحيتين :

الأولى : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى خارج جدران المدارس على حين كان الواجب أن يشمل هذا السجل كل مظاهر النشاط فى المدرسة وخارج المدرسة .

الثانية : أنه يقتصر على وصف مظاهر النشاط الثقافى فى مصر دون غيرها من البلاد العربية التى تجمعها وحدة الثقافة منذ مئات السنين .

وقد عقبت يا صديقى بما عقبت على رسالة الأديب « البسام » وأحسبك قد وافقته على اعتراضه من ناحيتيه ، ولكنك تركت « لأهل الاختصاص فى الوزارة أن يجيبوا بما عندهم » .

وأرى من حقى — أو من حقك وحق القراء علىّ — أن أردّ اعتراض الأستاذ البسام واعتراضك ؛ فنحن لم نقصد قط حين أخذنا الأهبة لإصدار السجل الثقافى أن نحصره فى هذا الحيز المحدود ، ولم يخف علينا قط ما يجمع بين البلاد العربية من وحدة الثقافة التى تأبى القيود والحدود ولا تعترف بهذه الفواصل الصناعية التى تجعل البلاد العربية التحدة بلاداً ذات أسماء وعناوين — لم نقصد إلى شىء من هذا ، ولم يخف علينا شىء من هذه الحقيقة ، وقد قصدنا أن يكون السجل الثقافى الذى يصدر عن وزارة المعارف فى مصر صورة صادقة التعبير عن كل مظاهر النشاط الثقافى فى تلك الوحدة الثقافية التى نسميها البلاد العربية .

أما إغفال تسجيل النشاط الثقافى فى نطاق المدارس فلأن

ثمة هيئة أخرى فى وزارة المعارف تقوم عليه وتعنى به وتمد المدة له ؛ فليس من حسن التدبير أن يتكرر العمل ، ولذلك تركنا للقائمين على شئون « تقويم التعليم » أن يمضوا فيما هم بسبيله لنفرغ نحن للجانب الآخر من جوانب النشاط الثقافى .

وأما أن يشمل السجل كل مظاهر النشاط الثقافى فى البلاد العربية جميعاً فهدف نقصد إليه وغاية نتنورها على بعد ، ولكنا لا نريد أن نبدأ العمل قبل أن تتجمع لنا أسبابه ؛ ومن أجل ذلك قصرنا برنامجنا — الآن — على تسجيل مظاهر النشاط الثقافى فى مصر حتى تتهيأ لنا الأسباب الكفيلة بتمام العمل على الوجه الذى يتمناه كل مثقف من أبناء العربية فى أى بلادها .

فهذا ما أردت أن يعرفه قراء الرسالة عن هذا الأمر ، ولعل فيه بلاغاً ، وإنى لأشكر لك ولصديقك ما أتحتما لى من فرصة لبعض الحديث عن هذا العمل الذى آمل أن يبلغ مبلغه من النفع العام إن شاء الله .

كبار الكتاب والسينما :

تضمنت الكلمة التى كتبتها فى عدد مضى من الرسالة بعنوان (السينما بمناسبة « المنتقم ») بيان عيوب فى بناء قصة السينما المصرية كخلوها من الفكرة وقصورها فى تصوير النواحى المختلفة لحياتنا . ويظهر من هذه العيوب أنها ترجع إلى ضعف التأليف أو قل عدم التأليف لأن أكثر الروايات تحور عن أصول غربية ، يفقدها « التمصير » قيمتها الأصلية ، فتجىء لا شرقية ولا غربية .

وعندى أن الذين يستطيعون أن يجبروا هذا النقص هم الأدباء الذين يلتفتون إلى هذه الناحية ويدرسون دقائق التأليف للسينما ، بمعاونة مخرجين لهم ذوق أدبى ومشاركة فى الأدب إلى جانب حذقهم فى الإخراج

وقد أثارت هذا الموضوع مجلة « الاستديو » فكتبت بعنوان « أعلام الكتاب فى مصر : لماذا لا يكتبون للسينما ؟ » قالت : « تحمل القصة السينمائية فى مصر طابع الضعف فى التأليف والتفاهة فى الفكرة والعجز فى إحكام العقدة الروائية ووسائل حلها . ولما كان كبار الكتاب والأدباء هم عماد القصة فى كل عصر وجيل فما يثير الدهشة حقاً أن أعلام الكتاب فى مصر قد أعرضوا إعراضاً ظاهراً من إمداد السينما بوحى أقلامهم » ثم ذكرت المجلة بعد ذلك أنها استطلعت آراء بعض الكتاب والمخرجين فى أسباب ذلك الإحجام ، ونشرت هذه الآراء .

يرى الأستاذ محمود تيمور بك أن رجل الشارع الذى أوتى حظاً محدوداً من الثقافة لا يستسيغ ولا يقبل على ما يكتبه أعيان الكتاب له ، ولكنه يقبل على روايات الكتاب العاديين المؤلفة أو المترجمة لأنه يجد فيها متعته الحلوة وغذاءه المستساغ

وقال الأستاذ المازنى « إن السينما المصرية تعتمد على عنف الحوادث وعلى المواعظ والخطب المنبرية وعلى الغناء والموسيقى إلى آخر هذا . وهذا كله لا يتفق مع فن القصة ، وما دام رجال السينما يطلبون هذا فمن البعيد جداً أن يجدوا فى كاتب يحترم فنه استعداداً لوضع قصة لهم على هذه القواعد »

وقال الأستاذ زكى طليمات : « سيعمل كبار الكتاب للسينما يوم يصبح المنتجون والمخرجون فى عقلية تماثل عقلية كبار الكتاب »

ويستبين من هذه الأقوال أن المنتجين والمخرجين يرون أن الجمهور إنما يقبل على الأفلام المثيفة الحوادث المفعمة بالمواعظ والخطب المنبرية والأغانى ، والتى تعتمد مع ذلك على إثارة الغرائز ، والكتاب يترفعون عن هذه الصغائر

ولا شك أن إقبال الجمهور هو أهم شىء فى هذا الموضوع ، ولكن هل الجمهور لا يريد حقاً إلا هذا الذى يقدمونه له ؟ وهل يعرض حقاً عن إنتاج فنى نظيف يحمل إلى عقله ووجدانه غذاء خفيفاً إلى جانب المتعة التى ينالها من أسباب الدعة والتسلية والطرب والتفكهة ؟ وهل قدم له شىء من هذا فأعرض عنه ؟

إن الإنسان ، كما قلت فى مناسبة سالفة ، فنان بالفطرة ، فهو إن لم تتح له وسائل الإنتاج فى الفنون وأدواته ، فنان « مستهلك » . فمجاراة الجمهور فى ميله إلى هذا البهرج إما إن تكون — مع حسن الظن — غفلة عن استغلال ميله الفطرى إلى جمال الفن أو عجز عن تهيئته له ، وهى — مع سوء الظن — تجارة من أرذل التجارات ...

جربوا أيها المنتجون ... وإذا أردتم ألا تغامروا قبل أن تستوثقوا ، فقدموا للطفل الذى اعتاد أن يفرح بـ « عرائس المولد » لعبة من اللعب ذات الفكرة ، وانظروا هل يعرض عنها ...

« العباس »